نقد الصنيع الفني، خيال الكتابة:

الطريق الى التهلكة يبدأ من موعظة خفية

فاروق يوسف*

هنري ميشو

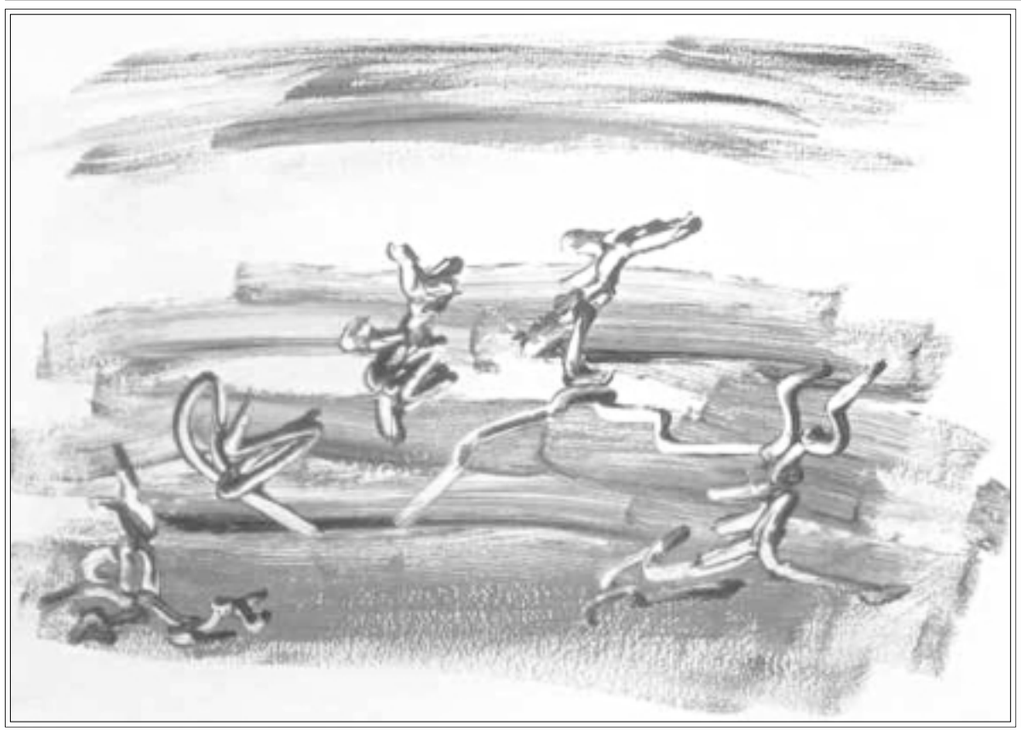

عملان لهنري ميشو

1

■ هل كان شارل بودلير، يفكر في الرسم من جهة صلته بالشعر؟ في المقابل فان تحول هربرت ريد الى النقد وعزوفه عن الشعر الذي كان الهام شبابه انما يشير الى انتصار موهبة على أخرى. كان بودلير يكابد الرسم، لكن ضمن محيطه الشخصي، بتواضع الشأن الخاص، على العكس من هنري ميشو، الذي هو حالة نادرة في التاريخ الثقافي. فقد كان رساما طليعيا بحجم ماكان عليه في الشعر. درايته في الرسم لا تزال تؤسس لحيرة من نوع استثنائي، ذلك لانها فتحت واحدا من أهم الطرق التي تقود إلى هاوية ما هو لامرئي من انفعالنا بالرسم. فالتبقيعية ليست انجازا يسيرا، يمكن العبور به، اختراقها قد غير اشياء كثيرة في مفاهيم عصرنا الجمالية. كما يقال عادة في وصف لحظات المعجزة: لم يعد الرسم بعد التبقيعية مثلما كان قبلها. تحول بهذا الحجم صنعه شاعر، لكن الرسام منه وفيه هو في الحقيقة من صنع ذلك التحول. هل يمكننا أن نكون على يقين من ذلك الانفصال؟ لا بالتأكيد. غير أن ميشو يبقى كما قلت حالة فريدة في تاريخنا الفني المعاصر. في عصر النهضة كان هناك مايكل انجلو الذي كتب الشعر وهناك ليوناردوا دافنشي الذي كان موهوبا في شؤون كثيرة غير الرسم، منها العمارة وفن القص. بودلير وجد ما يسليه في صفة ناقد لتضاف إلى صفته الأولى شاعرا. وجاء غيوم ابولينير من بعده ليكرس هذا الوهم. الاول صاغ مصطلح الحداثة وهو الذي كان معجبا برومانسية (ديلاكروا) اما الثاني فقد وهبنا (التكعيبية)، وحشا لفظيا لم يكن ليخطر في أذهان مخترعيها، اصدقائه: براك وغري وبيكاسو. العمر القصير الذي عاشه ابولينير لم يتح له فرصة للكشف عن كل مواهبه اللعينة، غير أن حراكه الثقافي يجعله نوعا من انتونان ارتو، المجنون بتنوعه الخلاق، أو منافسا لجان كوكتو في تحذلقه المشع واناقته المتمردة. إلى عام 1984 كان ميشو لا يزال حيا، ومع ذلك فقد شكل اعلان موته صدمة للكثيرين، ممن اعتقدوا أن الرجل كان ميتا قبل هذا الوقت بكثير. كانت معجزاته الصغيرة، أوراقه المرسومة بالحبر الصيني هي السبب في ذلك الاعتقاد. لقد سبقت تلك الاوراق الصغيرة صانعها إلى الخلود.

2

الكتابة وهم أما الرسم فهو حقيقة. لا يزال هناك من بيننا من تعتقله الصورة في معان بعينها، فينشئ بينه وبينها جسرا من بلاغة يابانية، لا يشقيه خفاؤها بل تسليه شفافيتها. ولع استعراضي هو أشبه بذلك التعلق المريض (عربيا بالطبع) بقصائد الـ(هايكو)، ذلك النوع الشعري الذي ظلمناه كثيرا، حين اقتلعناه من جذوره ولم نسع الى النظر إلى ما يحيطه من تقاليد تأملية، هي جزء من حساسية دينية وجمالية غامضة. الصورة في الشعر هي غيرها في الرسم، وهي على العموم في الفنون الجديدة لا تحضر إلا مجردة من محتواها القديم. هي مصطلح بات اليوم عار من الدقة بل وبعيدا عن المثالية التي يرجوها الشعر كما الرسم. ذلك لأنها لم تعد حكرا على ما يرى، هي موجودة ولكن في مكان آخر، مكان بعيد عن مساحة العرض الفني المحددة. على سبيل المثال فان فن المفاهيم لا يعير الصورة كما نعرفها (مجموعة من التلاقيات الشكلية) أي أهتمام يذكر، إلى جانبه فان الفن التقليلي يذهب به زهده بالتفاصيل إلى درجة الغاء كل ما يمكن أن يحيلنا إلى شيء يقع خارج تلك السطوح، احادية اللون ولا يملأ أبصارنا إلا بانفعال وتوتر، هما غاية في التجريد الذهني والعاطفي. لم تعد الصورة كما عرفها دالي أو ماغريت في رسومهما ممكنة الان. بالاحرى لم يعد الصنيع الفني قابلا لردة الفعل الأدبية. إن معرفة ذلك الصنيع اليوم يعجز الوصف البصري عن احتكارها. هناك موعظة جمال جديد تقيم في مكان، هو في منأى عن الدراية في الوصف، هي الميزان الحقيقي الذي يهب الكتابة على الفن قيمتها.

3

ولكن لماذا نكتب على الفن؟ أمن أجل توضيحه للعامة وهل العامة تقرأ وهي التي لم تر الأعمال الفنية ولا يهمها مصيرها؟ في هذا الامر هناك مفارقة غير سارة نضطر الى الاعتراف بها: قراء النقد الفني هم في غالبيتهم من الفنانين. هناك سواهم من قراء الصدفة، ولكن هؤلاء القراء غالبا ما لا يعثرون في تلك الكتابات على ضالتهم، لذلك يضجرون. اما الفنانون فلهم غايات أخرى. فاذا نحينا الاطماع الاعلامية (وهي جزء من حق النرجسية الباذخة لدى كل فنان)، فان الفنان بعد أن صار عمله الفني مستقلا عنه يبحث في تأملات الآخرين عن ثغرة تقوده إلى الهام العين المستقلة، عين الناقد الخبيرة التي لم تبتزها العاطفة، ولم تشتبك بالعمل الفني من جهة نفعيته النفسية المباشرة. فالصنيع الفني هو حاجة الفنان الى أن يكون موجودا، اما حين ينجزه فان شعوره بذلك الوجود يعود إلى نقطة الصفر التي بدأ منها. لذلك نراه يتطلع بفضول إلى ما يمكن أن يستخرجه الآخرون من أعماق العمل الفني من أسرار. احيانا يتبع الفنان أثر خطوات الناقد، من غير أن يتحلى بالجرأة على الاعتراف بذلك. الحقيقة ما من أحد في حاجة الى هذا الاعتراف، حتى الناقد، والذي هو في حيرة من امره. ولكن حقا لماذا نكتب على العمل الفني؟ أمن أجل الفنان، كما اوردنا؟ هذه فرية وتهمة في الوقت نفسه، فالناقد الحقيقي لا يجد في الترويج مهمة تليق به، وهو لا يأمل في أن يقرأه الفنان. الكتابة هي الأخرى حاجة. يبدأ ميشيل فوكو كتابه (الكلمات والاشياء) بتعليق فريد من نوعه على أحدى لوحات فيلاسكس، ذلك التعليق دفع الكثير من الفنانين العرب الى قراءة كتاب لم يفهموا منه في النهاية شيئا. حاجة الرسام الى الرسم تقابلها حاجة الكاتب الى الكتابة. وإذا ما كان الكاتب يبدأ من حيث انتهى الرسام، فان اشتباك بداية أحدهما بنهاية الآخر انما يدعونا إلى تأمل علاقة تستمد قوتها من الهام خفي، لا يعنيه ابدا ما يخلفه بقدر ما يتطلع إلى الجهة التي تشهد اشراقه.

4

لا يأمل الناقد في أن يكون رساما (هناك حالات يمتزج الرسام فيها بالناقد مثلما هي حال أسعد عرابي على سبيل المثال، وهي حال نادرة على العموم). يرى الناقد من الصنيع الفني ما يؤهله لكي يكون فصيحا في احتكامه الى ذائقته الجمالية، وهي ذائقة متشعبة يشوبها في أحيان كثيرة قدر من المرارة. يأس الناقد هو مدعاة لفخر الرسامين. اما اذا كان الناقد متفائلا فلابد أن يكون تفاؤله ذلك سببا في وقوعه في سوء فهم، قد يعجل في القضاء على امكانية أن يكون مقروءا. اعتقد أن هناك رساما كبيرا في اعماق كل ناقد حقيقي للفن، وهو رسام فضل التعلم على التعليم. وهو الموقع الذي لا يرتاده كثير ممن يجدون يسرا في الرسم. قد يكون الناقد (هو الوحيد بعد الرسامين الحقيقين طبعا) من يشعر أن الرسم صعب، وأن الصنيع الفني لا ينتج إلا عن عذاب عظيم. لذلك يمكنني القول أن الناقد يشارك الفنان شعوره القلق، إذ يقف الاثنان معا على الحافة في الطريق إلى الهاوية.

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

تداعيات

الرقم SC232

سعيد بوكرامي*

■ تحت خيمة المقهى، أي فوق سطح المقهى قلت لعمر:

ـ ان الستالينية لم تجلب إلا العار للاشتراكية العالمية وعلمت العالم أن الحكم بالحديد والنار أحسن وسيلة لفرض الأمن والتقدم.

ضحك بسخرية وقال:

ـ تقول هذا لأن الاتحاد السوفييتي مات وشبع موتا. ستالين كان ضروريا لنشر الفكر الاشتراكي في أوروبا، وليفقأ بذلك عيون الرأسمالية المتوحشة.

ـ لكنه لم ينشر فكرا بل حكما ونموذجا استبداديا.

تدخل عبد السلام صاحب اللحية الماكرة وقال:

ـ نحتاج إلى مستبد عادل ولا نحتاج إلى شعب يحكم نفسه بنفسه.

يكف عمر عن توزيع أوراق الرامي ويعقب:

ـ حتى تعرف أنت ما تريده ثم تحدث في هذه الأمور أما تلك اللحية فوق وجهك فهي تعكس تاريخ تحولاتك الحربائية من حزب إلى حزب. ومن جماعة إلى جماعة. أنا لا أفهم سر إصرارك على استغلالها كإكسسوار للعبة مفضوحة.

يرسم عبد السلام ابتسامة ناقمة ويقول:

ـ ما ذنبي أنا إذا كان وجهك لا ينبت لحية.

أتدخل لتهدئة الوضع :

ـ شعوب الكبت لا تعيش عيشة سوية، فهي إما تنحرف أو تنفجر أو تنتحر.

أما حسن فيظل طوال الوقت صامتا، يتأمل الطاولة وكؤوسها المرفوعة المحطوطة في تساوق مع الأوراق المرقشة بالقلوب والمربعات وأوراق الشجر. يشير إلى جندب يتسلق صبارا صحراويا ثم أخيرا يتكلم:

ـ المهم أن الاشتراكية لن تأفل أبدا فهي أفكار والأفكار لا تموت سيأتي دائما من سيؤمن بها. قد تموت الشعوب لكن الشمس تبقى والاشتراكية هي شمس الفقراء ولن تكف عن الشروق لتدفئة عقول عاشقة للعدل كارهة للطغيان.

ينظر مرة أخرى إلى الجندب، ويضحك وهو ينفث دخان سيجارته.

تذكرت ألكسندر سولجنستين وأنا عائد من المقهى. لم يعتبر نفسه أبدا سجينا بريئا حكم عليه جورا أو سجينا يحتاج إلى سنوات عقاب كي يتوب عن غيه ويعود إلى طريق التعويض وعفى الله عما سلف. بل يعترف أنه عبر عن آراء ممنوعة في عهد ستالين. وعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك حتى لو أدى ذلك إلى موته. كان يعلم أنه ليس بمقدوره البقاء على قيد الحياة في سجن الأشغال الشاقة فهو لا يقدر على العمل اليدوي أو يقدم تنازلات مضادة لقناعاته. فاستغل مهنته كمدرس للرياضيات وعاش كرجل رياضيات سجين يحمل رقم SC232.

مررت بالقرب من معتقل آكدز ?الذي يبدو من الخارج كقلعة وديعة وجميلة ببوابتها الضخمة لولا أنه يطمر ماضياً أسود من التعذيب والتدمير اللاإنساني في حق مجموعات من المغاربة المختطفين من بين أحضان أسرهم.

بعد محاولات عديدة استطعت الأسبوع الماضي دخوله في الصباح الباكر بواسطة أحد التلاميذ الذي توسط لي لدى الحارس.

قال الحارس:

ـ سأغلق وراءك الباب وعندما تنتهي اطرقه بقوة.

عندما سمعت صرير الباب الخشبي وقعقعة المزلاج الضخم. تملكني خوف شديد وهواجس عديدة. فماذا لو لم يفتح لي الحارس الباب ونسيني هنا عن قصد أو غير قصد.

فضاء للنسيان والخراب انتصب أمامي، بساحته الطينية المحدودبة كتجاعيد. أبواب معتمة ومشرعة على ممرات وأنفاق ودهاليز. عندما دخلت إحدى الغرف سمعت ركضا وزحفا ثم صمتا مطبقا ومفزعا.

أشعلت ولاعة وأنا أحاول أن أطرد فكرة أن يكون أحد المعتقلين ما زال منسيا هنا أو أن أرواح الذين قتلوا ما زالت تحوم في الظلمات غير مرتاحة لدمها المغدور وربما ساعية للانتقام. رأيت أسرة منحوتة من الطين، التقطت بعض الصور ثم رجعت مفجوعا وخائفا أن لا يصدقني أحد.

لازمتني هذه الصور أياما وأنا أفكر في تلك العتمة الضاغطة للأنفاس وتلك القبور المبعثرة أمام المعتقل التي لا يعلم أحد متى تدفن حتى أن الناس هنا صدقت أنها للعفاريت التي تطمر قتلاها تم تختفي ليلا.

أحيانا الناس البسطاء يصدقون ما لا يصدق فقط لأنهم مرغمون على تصديق الخارق والعجيب. فكثير من البنايات في كثير من القرى وحتى المدن أطلقت عليها إشاعة أنها مسكونة بالعفاريت بينما هي تخفي أحلام وأجساد طلبة وأساتذة ومثقفين تحتضر كل لحظة آيلة في صمت إلى الهلاك.

* كاتب من المغرب

**معتقل رهيب بمدينة آكدز، مر منه عدد من المعتقلين السياسيين المغاربة، الكثير منهم لقي حتفه هناك. وقد زرته سرا سنة 1996 رفقة بعض الأصدقاء.

افتتاح 3 مؤسسات ثقافية واستشارية ألمانية في أبوظبي

د. كاشل: ألمانيا تسعى لتجنب صدام الحضارات ونبذ التطرف

ابوظبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة:

افتتح الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي بدولة الامارات، وفرانك فالتير شتاينماير وزير الخارجية الألماني، ثلاث مؤسسات حكومية المانية متخصصة، في الثقافة واللغات والتعليم الاكاديمي والجامعي والاستشارات والتنمية.

وقال مسؤولون المان في مؤتمر صحافي ان المكتب المشترك لهذه المعاهد والمؤسسات الالمانية التي تعمل للمرة الاولى في ابوظبي ومنطقة الخليج يركز على الانفتاح الثقافي وحوار الحضارات بدلا من التصادم الفكري والحضاري.

واكدوا ان الثقافة والتعليم والتنمية تعتبر من القضايا الرئيسية في دول المنطقة الخليجية والعربية، وهو مجال اختصاص المؤسسات الثلاثة معهد غوتة الثقافي، ومؤسسة التعاون الفني الألماني (جي تي زد) ومكتب خدمات التبادل الأكاديمي الألماني (دي ايه ايه دي)، مما يعني اقامة علاقات مباشرة تعزز الشراكة الاستراتيجية بين الجانبين في المجالات الاقتصادية والتنموية والثقافية والاكاديمية.

واشاروا الى ان هذه المبادرة تعكس الاهتمام الالماني بتطوير علاقات التعاون الثقافي والاكاديمي والفني مع دول الخليج، حيث ان هذه المؤسسات الألمانية المتخصصة ستعمل في ابوظبي تحت شعار (الثقافة والتعليم والتنمية) لتغطية منطقة الخليج العربية.

ويضم المكتب المشترك في أبو ظبي مقار لكل من معهد غوتة الثقافي المتخصص في الثقافة واللغة، ومؤسسة التعاون الفني الألماني (جي تي زد) التي تعمل في مجال الاستشارات والتنمية ومكتب خدمات التبادل الأكاديمي الألماني (دي ايه ايه دي) العاملة في مجال التعليم الجامعي والاكاديمي.

وقال الدكتور بيرنارد دوله الممثل المقيم للمكتب الاقليمي لمنطقة الخليج بالمؤسسة الالمانية للتعاون الفني الألماني (جي تي زد) ان هذه المؤسسة التي تأسست في عام 1975 كشركة خاصة تملكها الحكومة الألمانية، تعمل حاليا في مشروعات ضخمة للطاقة والكشف عن مصادر المياه وحماية البيئة في كل من دولة الامارات والسعودية وقطر والكويت.

واشار الى ان عائد هذه المشروعات يتم توظيفه في مشروعات تنموية في الدول الفقيرة، نظرا لان المؤسسة غير ربحية وهي هيئة تعاون دولية للاستشارات التنموية تقدم خدمات متعددة في أنحاء العالم لعل أبرزها الحلول المتميزة للتنمية السياسية، والاقتصادية، والبيئية والاجتماعية في إطار العولمة.

واوضح ان المؤسسة الالمانية للتعاون الفني تعزز عمليات الإصلاح والتغيير البالغة التعقيد، وتهدف إلى تحسين الظروف المعيشية للأفراد على أسس مستدامة.

وتعمل المؤسسة باشراف الحكومة الألمانية وعلى وجه الخصوص وزارة التعاون والتنمية الاقتصادية، كما أنها تعمل بالإنابة عن الوزارات الألمانية الأخرى، وأيضا بالتعاون مع عدد من المنظمات الدولية والإقليمية الأخرى مثل المفوضية الأوروبية، والأمم المتحدة، والبنك الدولي وشركات القطاع الخاص.

وقال انه في الوقت الراهن، تقوم المؤسسة بتنفيذ 2700 مشروع وبرنامج تنموي في أكثر من 130 دولة. كما تمتلك مكاتب في 66 من تلك الدول.

وتعود علاقة المؤسسة بمنطقة الخليج إلى أكثر من ثلاثين عاما وتركز بشكل رئيسي على ثلاثة قطاعات هي التعليم، المياه والبيئة والبنية التحتية. وتغطي المؤسسة عبر مكتبها في منطقة الخليج كُلاً من دولة الإمارات، ومملكة البحرين، الكويت، عمان، وقطر.

من جانبها قالت الدكتورة الكي كاشل موني مديرة معهد غوتة في ابوظبي ان المركز الثقافي الألماني (معهد غوتة) سوف يقدم خدماته الى كل دول الخليج انطلاقا من ابوظبي، وذكرت ان الاقبال كبير على تعلم اللغة الالمانية وقالت ان هناك برامج لتعليم الالمانية عن بعد من دول الخليج العربية، واشارت الى ان معهد غوتة هو منظمة غير ربحية معروفة عالميا تعمل على تعزيز اللغة والثقافة الألمانية، وله شبكة من الفروع تقدر ب 128 معهدا في 77 دولة في أنحاء العالم، بالإضافة إلى 16 معهدا في ألمانيا.

ويعمل المعهد بالإنابة عن الحكومة الألمانية على توطيد أواصر العلاقات الثقافية.

ويشجع مكتب معهد غوتة الجديد على دراسة اللغة الألمانية كلغة أجنبية في منطقة الخليج ويقوم بتنظيم الفعاليات الثقافية.

وقالت ان معهد غوتة يشجع حوار الحضارات والثقافات بدلا من التصادم الفكري والديني مشيرة الى ان المعهد عازم على ازالة سوء الفهم ونشر التسامح بين جميع الحضارات.

ويقول الدكتور فولفغانغ بونغيرز مدير مركز المعلومات في الهيئة الالمانية للتبادل العلمي ان افتتاح مركز جديد لمكتب خدمات التبادل الأكاديمي الألماني (دي ايه ايه دي) في أبو ظبي سوف يعزز علاقات التعاون الاكاديمي بين الجامعات والمعاهد العلمية الالمانية مع نظيراتها في منطقة الخليج العربية. واشار الى ان مكتب المعلومات الجديد في أبو ظبي سيقدم الخدمات إلى المعاهد الأكاديمية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وتوفير المعلومات للأفراد والمؤسسات والمعاهد الراغبة في التبادل الأكاديمي.

ويعتبر مكتب خدمات التبادل الأكاديمي الألماني أحد أكبر المؤسسات من نوعها في العالم اذ يتعامل ويشرف على 300 جامعة في المانيا ولديه 60 مكتباً في دول العالم. وقال ان هذا المكتب الذي يعمل منذ عام 1950 ساعد 610 آلاف من الأجانب على الدراسة في ألمانيا، بالإضافة إلى عدد مماثل من الألمان لاكتساب الخبرة الأكاديمية في الخارج.

وقال ان المكتب ينسق أيضا المشروعات الأكاديمية على نطاق واسع، ويتراوح دوره من الاستشارات حول كيفية إدارة الجامعات، إلى تأسيس وإنشاء الشبكات فيما بين المراكز التعليمية في أنحاء العالم.

البلاد الباردة

نامق سلطان *

من يدلني على شجرة أعرفها
أو شارع مشيته يوما
.....
البلاد الباردة
ليست بلادي
لا ليلها ليل
ولا خمرها خمر
ولا نساؤها كالنساء
.....
حين تسير وحيدا
ملفوفا كأنك في كفن
منبوذا كسمكة لفظها البحر
وليل العالم يمتد أمامك
من ستنادي؟
من إذا ما صرخت سيسمع صراخك؟
هل ملاك أسود يمنحك جناحيه
لتحلق نحو سمائك؟
وأية سماء تعرفك اليوم؟
وأية أرض؟

* شاعر من العراق يقيم في الأردن